﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ۝٥﴾ [الصافات: 1 - 5]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

نُقل عن أبي جعفر بن الزبير قوله: "لما تضمّنت سورةُ يس من جليل التّنبيه وعظيمِ الإرشاد، وما يهتدي الموفّقُ باعتبار بعضه، ويشتغل المُعتبِرُ به في تحصيل مطلوبه وفَرْضه، ويشهد بأن الملك بجملته لواحد، وإن رَغِم أنفُ المعانِد والجاحد؛ أتبعها تعالى بالقَسَم على وحدانيّته، فقال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾ الآية، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ﴾ إلى قوله: ﴿وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ﴾"[1].

في القَسَم على الوحدانيّة توكيدٌ للانفراد بالمُلْك المطلَق

مناسبةُ الآيةِ الثّانيةِ للأولى على القولِ: إنَّ المرادَ بالصّافّاتِ الجماعاتُ مِنَ الملائكةِ والمُصلّينَ والمجاهدينَ المُكمِّلينَ أنفسَهم بالاصطفافِ في الطّاعةِ: أن التّكميلَ للنَّفسِ والغيرِ إنَّما يتمُّ معَ الهيبةِ والزَّجرِ، فقالَ تعالى: ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا﴾[2].

الزَّواجرُ حِصْنُ النُّفوسِ

ومناسبةُ الثّالثةِ للثّانيةِ: أنَّهُ لمّا كانتِ الإفاضةُ مُسبَّبةً عن حُسْنِ التَّلقّي المُسبَّبِ عن تفريغِ البالِ المُسبَّبِ عن هيبةِ المُفيدِ، وكانَ فيضُ التِّلاوةِ أعظمَ الفيضِ؛ قالَ تعالى: ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾؛ استدلالًا على قولهم وفعلهم، وتمهيدًا لعُذْرهم، وتشريفًا لقَدْرهم، وتكميلًا لغيرهم[3].

تلاوةُ القرآنِ مِنْ نِعَمِ اللهِ العظيمةِ

وأمّا مناسبةُ الآيةِ الرّابعةِ لِما قبلَها: فهي أنَّهُ بعدَ القَسَمِ بالمذكوراتِ، جيءَ بالمُقسَمِ عليهِ الَّذي هو مَناطُ الفائدةِ، وهو توحيدُهُ ﷻ.

توحيدُ اللهِ تعالى غايةُ المرادِ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 191.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 187 - 189.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 189 - 190.

انتظامُ الخَلْقِ دليلٌ على وحدانيّةِ الخالِقِ

وأمّا مناسبةُ الآيةِ الخامسةِ للرّابعةِ: فهي أنَّهُ ﷺ لمّا أخبرَ بأنَّهُ واحدٌ؛ ذكرَ عَقيبَهُ ما هو كالدَّليلِ اليقينيِّ على ذلكَ، وهو أنَّهُ ربُّ السّماواتِ والأرضِ وما بينَهما وربُّ المشارقِ؛ لأنَّ النَّظرَ في انتظامِ العالَمِ يَدُلُّ على كونِ الإلهِ واحدًا[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾: (صفف) أصلٌ يدلُّ على استواءٍ في الشَّيءِ، وتساوٍ بينَ شيئينِ في المَقَرِّ[2]، ومِنْ ذلكَ الصَّفُّ، وهو واحدُ الصُّفوفِ[3]، يقالُ: وقَفا صفًّا، إذا وقفَ كلُّ واحدٍ إلى جنبِ الآخرِ[4]. فالصَّفُّ: أن تجعل الشّيء على خطٍّ مستوٍ، كالنّاس والأشجار ونحوِ ذلك، والمعنى صفًّا بعد صفّ، فلا يُراد به واحدًا أبدًا. أو بمعنى الصّافِّ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ [الصّف: 4][5]. والمرادُ بالصّافّاتِ هنا: الملائكةُ على الأظهرِ[6]، أو الأفلاكُ، أو العلماءُ، أو الغُزاةُ المجاهدونَ في سبيلِ اللّهِ، أو المُصلّون من المسلمين، أو الطّير لصَفّ أجنحتها[7].

2) ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ﴾: (زجر) أصلٌ يدلُّ على الانتهارِ[8] والطَّردِ بصوتٍ، ثمَّ يُستعمَلُ في الطَّردِ تارةً وإنْ لم يكنْ بصوتٍ، وفي الصَّوتِ أخرى[9]. والمرادُ بالزّاجراتِ: الملائكةُ على الأظهرِ؛ لأنَّها تَزْجُرُ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 316، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 86.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صفف).
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (صفف).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صفف).
(5) الرّاغب، المفردات: (صف)، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (صفف).
(6) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 5، والرّاغب، المفردات: (صفف).
(7) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 5، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (صفف).
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (زجر).
(9) الرّاغب، المفردات: (زجر).

العُصاةَ[1]، أو تزجرُ السَّحابَ[2]، أو تزجرُ الشَّياطينَ عن الوسوسةِ والإغواءِ، وعنِ استراقِ السَّمعِ[3].

3) ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ﴾: (تلو) أصلٌ يدلُّ على الإتباعِ[4]، ومِنْ ذلكَ تلاوةُ القرآنِ؛ لأنَّ القارئَ يُتبِعُ كلَّ كلمةٍ أُختَها[5]. والمرادُ بالتّالياتِ هنا: الملائكةُ على الأظهرِ؛ لأنَّها تتلو كتابَ اللّهِ، أو كلُّ مَنْ يتلو القرآنَ[6].

4) ﴿ٱلْمَشَٰرِقِ﴾: (شرق) أصلٌ يدلُّ على إضاءةٍ وفتحٍ[7]، يقالُ: شَرَقَتِ الشَّمسُ شُروقًا، إذا طَلَعَتْ، وأشرقَتْ، إذا أضاءَتْ[8]. والمرادُ بالمشارقِ هنا: مطالعُ الشَّمسِ[9] كما هو الظّاهرُ، أو مشارقُ الكواكبِ؛ لأنَّ لكلِّ كوكبٍ مَشْرِقًا ومَغْرِبًا[10].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ربُّ العالَمينَ واحدٌ لا شريكَ لهُ

يُقرِّرُ اللّهُ تعالى وحدانيَّتَهُ وربوبيَّتَهُ، فيأتي القسمُ - على الأظهرِ - بالملائكةِ الجامعينَ بينَ صفاتِ الاصطفافِ للعبادةِ، وزَجْرِ العُصاةِ والشَّياطينِ والسَّحابِ، وتلاوةِ الذِّكرِ، ليفيد القسم بأنَّ إلهَ النّاسِ واحدٌ لا شريكَ لهُ، ومدللاً على ذلكَ بأنَّهُ الخالقُ والمالكُ للسَّماواتِ والأرضِ وما بينَهما مِنْ جميعِ العوالمِ والأجناسِ، وخالقُ مطالعِ الشَّمسِ ومالكُها؛ إذ ذلكَ مختصٌّ بهِ، لا يكونُ لغيرِهِ[11].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 183.
(2) الرّاغب، المفردات: (زجر).
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 183.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (تلو).
(5) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (تلو).
(6) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 62.
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (تلو).
(8) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (شرق).
(9) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 86.
(10) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 316.
(11) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 23/ 42.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

سرُّ الافتتاحِ بالقَسَمِ:

الواوُ في قولِهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا﴾ للقَسَمِ[1]، وقد أقسمَ ﷻ بالصّافّاتِ والزّاجراتِ والتّالياتِ، وفي افتتاحِ الآيةِ بالقَسَمِ تأكيدٌ للمُقسَمِ عليهِ مزيدَ تأكيدٍ؛ لأنَّهُ مُقتضَى إنكارِهم الوحدانيَّةَ، كما هو المألوفُ في كلامِ العربِ[2]، مِنْ تأكيدِ خبرِهم المُهِمِّ بالقَسَمِ ونحوِهِ[3]. وإنَّما أقسمَ ﷻ على توحيدِهِ؛ لأنَّهُ قرَّرَهُ بالدَّلائلِ اليقينيَّةِ في مواضعَ أُخرى مِنَ القرآنِ، فلا يُعترَضُ بأنَّ القَسَمَ لا فائدةَ فيهِ معَ المُنكرينَ[4].

توحيدُ اللهِ تعالى ممّا لا ينبغي أنْ يُشَكَّ فيهِ

سرُّ القَسَمِ بالمذكوراتِ:

الظّاهرُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾ أنَّهُ سبحانَهُ يُقسِمُ بذواتِ بعضِ مخلوقاتِهِ، وهي الصّافّاتُ والزّاجراتُ والتّالياتُ، وفي القَسَمِ بها تنبيهٌ على شرفِ ذواتِها وكمالِ حقائقِها، لا سيَّما إذا فسَّرْناها بالملائكةِ[5]، وإظهارٌ لعِظَمِ شأنِها وكِبَرِ فوائدِها، وتنبيهٌ إلى الاعتبارِ بصفتِها[6]؛ فهي دالَّةٌ على عظيمِ قدرةِ الخالقِ[7]، وحثٌّ على تعظيمِها، واعتقادِ حُرْمتِها ومكانتِها عندَ اللهِ.

عِظَمُ شأنِ الملائكةِ عندَ اللهِ

ويحتملُ على بُعْدٍ أنْ يكونَ في الكلامِ محذوفٌ، والقَسَمُ في الحقيقةِ باللهِ، والمعنى: وربِّ الصّافاتِ... إلخ[8]، ومع ما في ذلكَ من تعظيمٌ لذاتِهِ تعالى، لكنّه خلافُ الظّاهرِ، وفيهِ تقديرٌ لا حاجةَ إليهِ.

القَسَمُ بالعظيمِ عظيمٌ

(1) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 9/ 291، والشّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 442.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 5، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 83.
(3) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 215.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 316.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 316.
(6) القاسميّ، محاسن التّأويل: 8/ 200.
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 83.
(8) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 61.

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بالصَّفِّ:

تـفـاوتُ مـراتـبِ الملائكةِ

الظّاهرُ أنَّ المرادَ بالصّافّاتِ الملائكةُ الصّافّونَ في مقامِ العبوديَّةِ، وفي التَّعبيرِ بهذا الوصفِ إشارةٌ إلى أنَّ الملائكةَ الصّافّينَ مراتبُ[1]؛ فمَنْ كانَ أعلى رتبةً يكونُ صفُّهُ قريبًا إلى المحلِّ الَّذي ألهمَهُ اللّهُ تعالى أنَّهُ محلُّ القُرْبِ، ومَنْ كانَ دونَهُ يكونُ صفُّهُ قريبًا إلى الصَّفِّ الأوَّلِ، وهكذا إلى أنْ تتمَّ الصُّفوفُ[2].

الملائكةُ يفعلونَ ما يُؤمَرونَ

ويجوزُ أنْ يكونَ الصَّفُّ كنايةً عنِ استعدادِ الملائكةِ لامتثالِ ما يُلقَى إليهِم مِنْ أمرِ اللّهِ ﷻ[3]؛ لأنَّ مِنْ شأنِ المأمورينَ أنْ يتهيَّؤوا بالاصطفافِ.

دِقَّـةُ تـرتـيـبِ الأفـلاكِ مِـنْ مـعـجـزاتِ الخلّاقِ

ويحتملُ أنْ يرادَ بالصّافّاتِ الأفلاكُ المُرتَّبةُ[4]، أي: يكونُ بعضُها فوقَ بعضٍ، وهذا ليسَ بصفٍّ حقيقةً؛ إذِ الصَّفُّ ترتُّبُ الجمعِ في خطٍّ مستقيمٍ، بل هو واردٌ على التَّشبيهِ بالصُّفوفِ المرصوصةِ، فيكونُ الصَّفُّ استعارةً[5]، وفيهِ إشارةٌ إلى دِقَّةِ ترتيبِ الخالقِ ﷻ للأفلاكِ، ولذلكَ أقسمَ بها على الأمرِ العظيمِ، وهو توحيدُهُ.

حـرصُ الـعـلـمـاءِ الـعـامـلـيـنَ عـلـى الـجـمـاعـةِ فـي الطّاعاتِ

ويحتملُ أنْ يرادَ بالصّافّاتِ نفوسُ العلماءِ الصّافّينَ في العباداتِ[6]، والصَّفُّ إمّا حقيقةٌ إنْ أُريدَ بالعبادةِ الصَّلاةُ، وأُريدَ بالصَّفِّ الصَّفُّ في الجماعاتِ، أو مجازٌ إنْ أُريدَ بها مُطلَقُ العبادةِ[7]، وأيًّا ما كانَ ففي القَسَمِ بذلكَ تنبيهٌ على شرفِ الاجتماعِ للعباداتِ والطّاعاتِ، والتَّزاحمِ في صفوفِها.

ويحتملُ أن يرادَ بالصّافّاتِ نفوسُ الغُزاةِ الَّذينَ يجاهدونَ في

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 5.
(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 209.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 83.
(4) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 5.
(5) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 209.
(6) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 5.
(7) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 209.

سبيلِ اللّهِ، حقيقةً، أي: أنَّ مِنْ شأنِهم الاصطفافَ، أو مجازًا باعتبارِ ما كانَ[1] إنْ كانَ الحديثُ عن جهادٍ مضَى، وفي الكلامِ تنويهٌ بشأنِ الجهادِ في سبيلِ اللّهِ، الَّذي هو ذِروةُ سَنامِ الإسلامِ.

نُكْتَةُ تأنيثِ الصِّفاتِ:

الملائكةُ أصنافٌ مختلفةٌ

الظّاهرُ أنَّ المرادَ بالصّافّاتِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا﴾ الملائكةُ؛ لقولِهِ تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ١٦٥﴾ [الصّافات: 165]، فكانَ الظّاهرُ أنْ تُجمعَ جمعَ المُذكَّرِ السّالمِ، كما في الآيةِ المذكورةِ، فتأنيثُهُ هنا على أنَّهُ جمعُ صافَّةٍ، أي: طائفةٍ صافَّةٍ، أو جماعةٍ صافَّةٍ[2]، ليَدُلَّ على أنَّ المرادَ أصنافٌ مِنَ الملائكةِ لا آحادٌ منهُم[3]، فهذهِ الصِّفةُ لطوائفَ مخصوصةٍ لا لكلِّهم؛ لأنَّ بعضَهم يُدبِّرُ الأمرَ مِنَ السَّماءِ إلى الأرضِ[4]. ومِثْلُ ذلكَ يقالُ في الزّاجراتِ والتّاليات. وكذا الأمرُ إنْ حُمِلَتِ الصّافّاتُ على الأفلاكِ المُرتَّبةِ كالصُّفوفِ المرصوصةِ؛ فجمعُ الصّافّاتِ على بابِهِ[5]، وليسَ فيهِ عدولٌ عن الظّاهرِ.

الجماعةُ في الإسلامِ حبلُ اللهِ ومكمنُ نَصْرِهِ

وإنْ حُمِلَتِ الصّافّاتُ على نفوسِ العلماءِ الصّافّينَ في العباداتِ، أو على نفوسِ الغُزاةِ المجاهدينَ؛ فقد عُدِلَ عن جمعِ المُذكَّرِ السّالمِ إلى جمعِ المُؤنَّثِ؛ للدّلالةِ على أنَّ الموصوفَ هو الجماعةُ، أو الطّائفةُ كما تقدَّمَ[6].

نُكْتَةُ التَّعبيرِ باسمِ الفاعلِ:

مَنْ أدامَ الخِدمةَ فازَ بالكراماتِ

عُبِّرَ بصيغةِ اسمِ الفاعلِ مجموعًا في قولِهِ ﷻ: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾؛ للدّلالةِ على الثَّباتِ والاستمرارِ، وأنَّ هذا الوصفَ قد صارَ راسخًا في

(1) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 209.
(2) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 5/ 552، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 187 - 188، والقونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 209.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 83.
(4) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 209.
(5) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 209.
(6) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 209.

الموصوفِ، وفي ذلكَ مناسبةٌ لمقامِ القَسَمِ المُتضمِّنِ تعظيمَ المُقسَمِ بهِ؛ فإنَّ رسوخَ الوصفِ فيهِ مِنْ دواعي تعظيمِهِ وتشريفِهِ، تفضُّلًا منهُ ﷻ، لا سيَّما إنْ كانَ المرادُ الدَّوامَ على العبادةِ أو الجهادِ.

نُكتةُ الإيجازِ:

عـلَّـةُ الـحـذفِ ظهورُ المعنى في السّياقِ

يحتملُ قولُهُ تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾ أنْ يكونَ مِنْ قبيلِ الإيجازِ بحذفِ المفعولِ؛ لدلالةِ السّياقِ عليهِ، والمعنى: والصّافّاتِ أنفُسَها[1].

ويحتملُ أنْ يكونَ المتعدّي قد نُزِّلَ منزلةَ اللّازمِ، أي: والفاعلاتِ للصُّفوفِ، على أنَّ المرادَ إيقاعُ نفسِ الفعلِ مِنْ غيرِ قصدٍ إلى المفعولِ[2].

نُكتةُ التَّعبيرِ بالمصدرِ:

جيءَ بالمصدرِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا﴾ للتَّأكيدِ، أي: صفًّا بديعًا[3]، وفي التَّأكيدِ مزيدُ ملاءمةٍ لمقامِ تعظيمِ الموصوفِ بهذهِ الصِّفةِ الجليلةِ.

بلاغةُ العطفِ بالفاءِ:

التَّـفـاوتُ بينَ الصِّفاتِ أو بينَ الموصوفاتِ

تحتملُ الأشياءُ الثَّلاثةُ المُقسَمُ بها في قولِهِ تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾ أنْ تكونَ صفاتٍ لموصوفٍ واحدٍ، والعطفُ لتنزيلِ تغايرِ الصِّفاتِ منزلةَ تغايرِ الذَّواتِ[4]. ويحتملُ أنْ تكونَ أشياءَ ثلاثةً متباينةً[5].

والفاءُ إذا جاءَتْ عاطفةً في الصِّفاتِ: إمّا أنْ تدلَّ على ترتُّبِ معانيها في الوجودِ، وإمّا على ترتُّبِها في التَّفاوتِ مِنْ بعضِ الوجوهِ، كقولِكَ: خذِ الأفضلَ فالأكملَ، وإمّا على ترتُّبِ موصوفاتِها في ذلكَ. فإنْ كانَ الموصوفُ واحدًا فالفاءُ للدّلالةِ على

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 183، والقونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 209.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 183، والقونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 209.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 183، والشّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 443.
(4) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 212.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 313.

ترتُّبِ الصِّفاتِ في التَّفاضلِ، وإنْ كانَ مُتعدِّدًا فهي للدّلالةِ على ترتُّبِ الموصوفاتِ فيهِ. بيانُ ذلكَ: أنَّكَ إذا وصفتَ بهذهِ الأوصافِ الملائكةَ، وجعلتَهم جامعينَ لها؛ فعطفُها بالفاءِ يفيدُ ترتُّبًا لها في الفضلِ: إمّا أنْ يكونَ الفضلُ للصَّفِّ، ثمَّ للزَّجْرِ، ثمَّ للتِّلاوةِ؛ لأنَّ الاصطفافَ مُقدِّمةٌ لها ووسيلةٌ، والوسيلةُ دونَ المُتوسَّلِ إليهِ، وأنَّ تلاوةَ الذِّكرِ أفضلُ مِنَ الزَّجْرِ، باعتبارِ ما فيها مِنْ إصلاحِ المخلوقاتِ، وإمّا على العكسِ. وكذلكَ إن أردتَ العلماءَ والغُزاةَ، وإنْ وصفتَ بالصِّفةِ الأولى طوائفَ، وبالثّانيةِ والثّالثةَ طوائفَ أُخَرَ؛ فقد أفادَتْ ترتُّبَ الموصوفاتِ في الفضلِ، يعني: أنَّ الطَّوائفَ الصّافّاتِ ذواتُ فضلٍ، والزّاجراتُ أفضلُ، والتّاليـاتُ أكثرُ فضلًا، أو على العكسِ[1]. وإيثارُ الفاءِ على الواوِ لقصدِ التَّرتيبِ والتَّفاضلِ، طردًا أو عكسًا كما سبقَ[2].

بلاغةُ الإيجازِ في الزّاجراتِ:

دائرةُ المزجورينَ واسعةٌ

يحتملُ قولُهُ تعالى: ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ﴾ أنْ يكونَ مِنْ قبيلِ الإيجازِ بحذفِ المفعولِ، فإذا كانَ الموصوفُ هو الملائكةَ - كما هو الظّاهرُ - فالمعنى: فالزّاجراتِ لِما نيطَ بها زَجْرُهُ، ومِنْ جملةِ ذلكَ: زَجْرُ العبادِ عن المعاصي بالمواعظِ، وزَجْرُ الشَّياطينِ عنِ الوسوسةِ والإغواءِ، وعنِ استراقِ السَّمعِ[3]، ففي الحَذْفِ توسيعٌ لدائرةِ المزجورينَ، وإنْ كانَ الموصوفُ هو العلماءَ فالمعنى: أنَّهم يزجرونَ أهلَ المعاصي[4].

مـــدارُ الإفـــادةِ حصولُ الزَّجْرِ

ويحتملُ أنْ يكونَ المتعدّي قد نُزِّلَ منزلةَ اللّازمِ، أي: فالفاعلاتِ للزَّجْرِ، على أنَّ المرادَ إيقاعُ نفسِ الفعلِ مِنْ غيرِ قصدٍ إلى المفعولِ[5].

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 33 - 34، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 83.
(2) القاسميّ، محاسن التّأويل: 8/ 200.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 183، والآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 64.
(4) الشّوكاني، فتح القدير: 4/ 443.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 183، والآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 64.

نُكْتةُ تعريفِ الزّاجراتِ:

الظّاهرُ أنَّ التَّعريفَ في قولِهِ تعالى: ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ﴾ للجنسِ المُستغرِقِ أفرادَهُ[1]، على الاختلافِ في المقصودِ بها، فيفيدُ أنَّ جميعَ الأفرادِ مُعظَّمةٌ بالقَسَمِ.

بلاغةُ اسمِ الفاعلِ:

فـازَ بـالـرِّضـوانِ مَـنْ أدامَ الـزَّجْـرَ عن الهوى

عُبِّرَ بصيغةِ اسمِ الفاعلِ مجموعًا في قولِهِ ﷻ: ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ﴾؛ للدّلالةِ على الثَّباتِ والاستمرارِ، وأنَّ هذا الوصفَ قد تمكَّنَ في الموصوفِ، ولذلكَ عظَّمَهُ اللّهُ تعالى بالإقسامِ بهِ؛ تنويهًا بشأنِهِ وعُلوِّ درجتِهِ، لا سيَّما إنْ كانَ المرادُ الدَّوامَ على الزَّجْرِ عن المعاصي والوسوسةِ والإغواءِ ونحوِ ذلكَ، فهذا شأنُ الأنبياءِ وورثتِهم.

نُكْتةُ التَّعبيرِ بالمصدرِ:

عِظَمُ شأنِ الزَّجْرِ عن المعاصي

جيءَ بالمصدرِ في قولِهِ تعالى: ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾ للتَّأكيدِ، أي: زجرًا بليغًا[2]، وفي التَّأكيدِ مزيدُ ملاءمةٍ لمقامِ تعظيمِ الموصوفِ بهذهِ الصِّفةِ الجليلةِ؛ إذ يشيرُ المصدرُ إلى تحقُّقِ اتِّصافِهِ بها.

نُكْتةُ تعريفِ التّاليات:

الذِّكرُ بَرَكةٌ لكلِّ تالٍ لهُ

الظّاهرُ أنَّ التَّعريفَ في قولِهِ تعالى: ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ﴾ للجنسِ المُستغرِقِ أفرادَهُ، فيُفيدُ أنَّ جميعَ الأفرادِ التّاليةِ للذِّكرِ مُقسَمٌ بها[3]، ومُستحِقَّةٌ للتَّعظيمِ والتَّشريفِ، وهي أفرادُ الملائكةِ التّاليةُ للذِّكرِ، أو كلُّ مَنْ يتلوهُ.

بلاغةُ اسمِ الفاعلِ:

الإكـثـارُ مِـنَ الـتِّـلاوةِ شـأنُ المُخلَصينَ

جيءَ بصيغةِ اسمِ الفاعلِ مجموعًا في قولِهِ ﷻ: ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ﴾؛ للدّلالةِ على الثَّباتِ والاستمرارِ، وأنَّ هذا الوصفَ عريقٌ في الموصوفِ،

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 34.
(2) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 3/ 116، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 183.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 34.

ولذلكَ استحقَّ التَّعظيمَ والتَّشريفَ، لا سيَّما إنْ كانَ المرادُ الدَّوامَ على تلاوةِ آياتِ اللّهِ تعالى، فذلكَ لا يكونُ إلّا ممَّنْ خَلَصَتْ نفسُهُ للّهِ.

سرُّ التَّعبيرِ بالتّاليات:

عنايةُ أهلِ الكمالِ بتلاوةِ القرآنِ

عُبِّرَ بالتّاليات في قولِهِ تعالى: ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾؛ لدلالةِ التِّلاوةِ على المواظبةِ، واختصاصِها بكُتُبِ اللّهِ المُنزَلةِ، ففي التَّعبيرِ بها إشارةٌ إلى مواظبةِ الموصوفِ بهذا الوصفِ على قراءةِ القرآنِ، كما هو شأنُ الكُمَّلِ مِنْ أهلِ الإيمانِ.

وجْهُ التَّعبيرِ بالذِّكرِ:

القرآنُ تذكيرٌ باللهِ واليومِ الآخرِ، ورفعٌ لشأنِ المؤمنينَ

عُبِّرَ بالذِّكرِ في قولِهِ ﷻ: ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾؛ لأنَّهُ مصدرُ (ذَكَرَ)، إذا تلفَّظَ، ومصدرُ (ذَكَرَ)، إذا خَطَرَ ببالِهِ شيءٌ؛ فالذِّكرُ هو الكلامُ الموحَى بهِ؛ ليُتلَى ويُكرَّرَ، وفيهِ التَّذكيرُ باللّهِ واليومِ الآخِرِ، والتَّنويهُ بشأنِ أُمَّةِ الإسلامِ في الآخرينَ[1].

موقعُ جملةِ ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٌ﴾:

الوحدانيَّةُ أجلَى الحقائقِ

قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٌ﴾ جوابُ القَسَمِ[2]، وهو مَحَطُّ العنايةِ، ومقصودُ الكلامِ، وما قبلَهُ تمهيدٌ لهُ، ولا غَرْوَ في ذلكَ؛ فالآيةُ تُقرِّرُ حقيقةَ التَّوحيدِ الَّتي هي أهمُّ الحقائقِ وأجلاها، فاللّهُ ﷻ واحدٌ مِنْ جميعِ الجهاتِ الَّتي ينظرُ فيها المُتفكِّرونَ[3].

فائدة التّعبير بالجملةِ الاسميَّةِ:

وحدانيَّةُ اللهِ تعالى حقيقةٌ ثابتةٌ

عُبِّرَ بالجملةِ الاسميَّةِ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٌ﴾؛ لدلالتِها على الثَّباتِ والدَّوامِ، ووحدانيَّةُ اللّهِ تعالى حقيقةٌ يقينيَّةٌ ثابتةٌ، لا تقبلُ التَّغييرَ والتَّبديلَ، ولا يعتريها شكٌّ أو نقضٌ سائرَ الأزمانِ.

---

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 85، 14/ 16.

(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 5.

(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 90.

بلاغةُ توالي المؤكِّداتِ:

شدَّةُ إنكارِ كفّارِ مكَّةَ لوحدانيَّةِ اللهِ

أُكِّدَ قولُهُ ﷻ: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ بعدَّةِ مُؤكِّداتٍ، وهي: القَسَمُ، و﴿إِنَّ﴾، والجملةُ الاسميَّةُ، ولامُ الابتداءِ المُزحلَقةُ إلى الخبرِ؛ لزيادةِ تحقيقِ وحدانيَّتِهِ ﷻ؛ لأنَّ المُخاطَبينَ - وهم كفّارُ مكَّةَ - يُنكِرونَها أشدَّ إنكارٍ[1]، فقد رَسَخَ في نفوسِهم القولُ بتعدُّدِ الآلهةِ، ومقامُ الإنكارِ خليقٌ بالتَّأكيدِ بحسَبِ درجةِ الإنكارِ.

كفّارُ مكَّةَ يكابرونَ ما تُقِرُّ بهِ نفوسُهم

والخطابُ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾؛ أنسبُ بإقامةِ الحُجَّةِ على المشركينَ، والعنايةِ بتقريرِ وحدانيَّتِهِ تعالى؛ إذ فيهِ إيقاظٌ للمشركينَ، ومواجهةٌ لهُم بأمرٍ يعلمونَ صِدْقَهُ في قرارةِ أنفُسِهم، ولكنَّهم يُظهِرونَ خلافَهُ كِبْرًا وعنادًا.

نكتةُ الإضافةِ في ﴿إِلَٰهَكُمْ﴾:

إعراضُ المشركينَ عن معبودِهم الحقيقيِّ

أُضيفَ لفظ الإلهِ إلى ضميرِ المُخاطَبينَ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾؛ لزيادةِ تقريرِ المشركينَ بأمرٍ لا يجدونَ لهُ مَدْفَعًا، وهو أنَّ إلهَهم واحدٌ؛ لأنَّهُ ربُّ السَّماواتِ والأرضِ وما بينَهما وربُّ المشارقِ، وفي الإضافةِ إشعارٌ بأنَّهُ لا إلهَ لهُم غيرُ الإلهِ الموصوفِ بهذهِ الصِّفةِ، وفيها أيضًا تذكيرٌ لهُم بالمُنعِمِ عليهِم، الَّذي لا ينبغي أنْ يَصرِفوا العبادةَ لغيرِهِ.

سرُّ التَّعبيرِ بالألوهيَّةِ دونَ الرُّبوبيَّةِ:

اللهُ هو المُستحِقُّ للعبادةِ

عُبِّرَ بالأُلوهيَّةِ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ دونَ الرُّبوبيَّةِ؛ لدلالةِ لفظِ الإلهِ على العبادةِ الَّتي ينبغي صرفُها لِمَنْ يستحقُّها، وهو اللهُ ﷻ. فضلًا عن المناسبةِ بين لفظي الأُلوهيّة والوحدانيّة، والتّلازم الذي تكرّر كثيرًا في غير موضع من القرآن الكريم.

(1) ابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 215.

دلالةُ اللّامِ:

اللّامُ في قولِهِ تعالى ذكرُهُ: ﴿لَوَٰحِدٌ﴾ هي لامُ الابتداءِ المُزحلَقةُ إلى الخبرِ، والغرضُ منها التَّوكيدُ.

سرُّ التَّعبيرِ بـ ﴿لَوَٰحِدٌ﴾:

توحيدُ اللهِ مَناطُ التَّأكيدِ

جيءَ بصفةِ (واحدٌ) في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾؛ لأنَّها مَناطُ التَّأكيدِ؛ لأنَّ المُخاطَبينَ قد عَلِموا أنَّ لهُم إلهًا، ولكنَّهم جعلوهُ عدَّةَ آلهةٍ، فأبطلَ ﷻ اعتقادَهم بإثباتِ أنَّهُ واحدٌ غيرُ مُتعدِّدٍ، وهذا إنَّما يقتضي نفيَ الإلَهيَّةِ عن المُتعدِّدينَ، وأمّا اقتضاؤُهُ تعيينَ الإلهيَّةِ للّهِ تعالى فذلكَ حاصلٌ بأنَّهم لا يُنكِرونَ أنَّ اللّهَ تعالى هو الرَّبُّ العظيمُ، ولكنَّهم جعلوا لهُ شُرَكاءَ، فحصلَ التَّعدُّدُ في مفهومِ الإلهِ، فإذا بطلَ التَّعدُّدُ تعيَّنَ انحصارُ الإلهيَّةِ في ربٍّ واحدٍ، هو اللّهُ تعالى[1].

علَّةُ الفصلِ في ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾:

الإلهُ الواحدُ هو المُتفرِّدُ بالخلقِ والإيجادِ

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ عمّا قبلَهُ؛ لأنَّهُ استئنافٌ بيانيٌّ لبيانِ الإلهِ الواحدِ بأنَّهُ ربُّ السَّماواتِ والأرضِ؛ لأنَّ ذلكَ مِنْ خصائصِهِ تعالى؛ فإنَّ المشركينَ معَ غُلوِّهم في الشِّركِ لم يتجرَّؤوا على ادِّعاءِ الخالقيَّةِ لأصنامِهم، ولا التَّصرُّفِ في العوالمِ العُلويَّةِ، فكانَ تفرُّدُهُ تعالى بالخالقيَّةِ أفحمَ حُجَّةٍ عليهِم في بطلانِ إلهيَّةِ الأصنامِ[2].

بلاغةُ الإيجازِ:

حذفُ المبتدأِ جارٍ في الاستعمالِ

قولُهُ تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ، والتَّقديرُ: هو ربُّ السَّماواتِ والأرضِ، وقد جرَى حذفُهُ على طريقةِ الاستعمالِ العربيِّ في حذفِ المسندِ إليهِ مِنَ الكلامِ الواردِ بعدَ تقدُّمِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 85.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 86.

حديثٍ عنهُ[1]، وفي ذلكَ إيجازٌ يلائمُ الاختصارَ الَّذي قامَ عليهِ معظمُ آياتِ هذهِ السّورةِ، وإيماءٌ إلى سُرعةِ تعيُّنِ الإلهِ الواحدِ سبحانَهُ. ويحتملُ أنْ يكونَ خبرًا ثانيًا، وأنْ يكونَ بدلًا مِنْ ﴿لَوَٰحِدٌ﴾[2]، وعليهِ فلا حذفَ.

بلاغةُ الإدماجِ:

خصائصُ الإلهِ الواحدِ تُميِّزُهُ عن غيرِهِ

قولُهُ تعالى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ﴾ مَسوقٌ لبيانِ الإلهِ الواحدِ، وفيهِ إدماجُ الاستدلالِ على تعيينِهِ، بذِكْرِ ما هو مِنْ خصائصِهِ المُقتضي تفرُّدَهُ بالإلَهيَّةِ[3].

سرُّ التَّعبيرِ بالرُّبوبيَّةِ دونَ الألوهيَّةِ:

العاقلُ لا يَصرِفُ العبادةَ لغيرِ الخالقِ المُنعِمِ

الظّاهرُ هاهنا أنْ يُقالَ: (إلهُ السَّماواتِ والأرضِ)... إلخ؛ لتقدُّمِ ذِكْرِ الإلهِ في قولِهِ: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٌ﴾، لكنْ عُبِّرَ بالرُّبوبيَّةِ في قولِهِ تعالى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾؛ لدلالةِ لفظِ الرَّبِّ على أنَّهُ ﷻ خالقُ السَّماواتِ والأرضِ وما بينَهما ومالكُهُ[4]، ومُربّيهِ، ومُبلِّغُهُ إلى كمالاتِهِ[5]، وذلكَ أنسبُ بمقامِ الاستدلالِ على وحدانيَّتِهِ تعالى؛ إذ هذا الوصفُ مُختصٌّ بهِ سبحانَهُ، فيستلزمُ اختصاصَهُ بالألوهيَّةِ، فضلًا عمّا في وصفِ الرَّبِّ مِنَ الإشارةِ إلى إنعامِهِ ﷻ على عبادِهِ بالنِّعَمِ الَّتي لا تتناهَى، ومنها خَلْقُ السَّماواتِ والأرضِ وما بينَهما ممّا يدورُ عليهِ مصالحُ العبادِ، والعاقلُ لا يصرفُ العبادةَ لغيرِ الخالقِ المُنعِمِ.

غرضُ إضافةِ لفظِ الرّبّ:

السَّماواتُ والأرضُ وما بينَهما مِلْكٌ للهِ

أُضيفَ الرَّبُّ إلى ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿رَبُّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 86.
(2) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 9/ 219.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 86.
(4) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 63، والقونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 217.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 184.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ إضافةَ المالكِ إلى المملوكِ، الَّتي لا ينازعُ فيها عاقلٌ؛ للدّلالةِ على أنَّ مَنْ كانَ شأنُهُ كذلكَ فهو الحَريُّ بالإفرادِ بالألوهيَّةِ والعبادةِ.

نُكتةُ عطفِ ﴿وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾:

عُطِفَ قولُهُ تعالى: ﴿وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾؛ لتأكيدِ شمولِ ربوبيَّتِه ﷻ لكلِّ ما يحيطُ بالعبادِ، وفي ذلكَ ملاءمةٌ لمقامِ إقامةِ الحُجَّةِ على المُخاطَبينَ، والاستدلالِ على وحدانيَّةِ الباري ﷻ.

لا شيءَ خارجٌ عن سلطانِ الرُّبوبيَّةِ

دلالةُ (ما):

جيءَ باسمِ الموصولِ في قولِهِ تعالى ذكرُهُ: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾؛ لأنَّهُ مِنْ ألفاظِ العمومِ، فيناسبُ مقصودَ الكلامِ، مِنْ حيثُ إنَّ شمولَ رُبوبيَّتِه تعالى للسَّماواتِ والأرضِ وجميعِ ما بينَهما مِنَ العوالمِ المشهودةِ للنّاسِ بأجرامِها وسُكّانِها والموجوداتِ فيها؛ دليلٌ ظاهرٌ على تفرُّدِهِ ﷻ بالألوهيَّةِ[1].

اللهُ خالقُ العوالمِ كلِّها

بلاغةُ تكريرِ الرَّبِّ:

أعادَ النَّظمُ الحكيمُ لفظَ الرَّبِّ في قولِهِ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ﴾؛ إذ لم يُقَلْ: (ربُّ السَّماواتِ والأرضِ وما بينَهما والمشارقِ)؛ للتَّنبيهِ على غايةِ ظهورِ آثارِ الرُّبوبيَّةِ في المشارقِ، وتجدُّدِها كلَّ يومٍ[2].

ظهورُ آثارِ الرُّبوبيَّةِ في المشارقِ

غرضُ الإضافةِ:

أُضيفَ لفظ الرَّبِّ إلى المشارقِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ﴾ إضافةَ المالكِ إلى المملوكِ؛ للتَّنبيهِ على أنَّ مَنْ كانَتِ المشارقُ مخلوقةً لهُ، وتحتَ سلطانِهِ وقدرتِهِ؛ فهو الحَريُّ بالإفرادِ بالأُلوهيَّةِ والعبادةِ.

مَنْ خضعَ لسلطانِه كلُّ شيءٍ فهو حَريٌّ بالعبادةِ وإفرادِ الألوهيّةِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 86.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 184.

نُكتةُ تخصيصِ المشارقِ بالذِّكرِ:

شـأنُ المشارقِ عجيبٌ

تخصيصُ المشارقِ بالذِّكرِ مِنْ بينِ ما هو بينَ السَّماواتِ والأرضِ في قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ﴾؛ لأنَّها مطالعُ الأنوارِ، والعيونُ بها أكلَفُ[1]، ولأنَّها أحوالٌ مشهودةٌ كلَّ يومٍ[2]، ففي إفرادِها بالذِّكرِ تنبيهٌ على عِظَمِ شأنِها، حتَّى كأنَّها جنسٌ مختلفٌ عن جنسِها الَّذي تندرجُ فيهِ، وهذا مِنْ قبيلِ عَطْفِ الخاصِّ على العامِّ.

بلاغةُ حذفِ المغاربِ:

المشارقُ أكثرُ نفعًا مِنَ المغاربِ

في قولِهِ تعالى: ﴿وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ﴾ إيجازٌ بالحذفِ، وذلكَ أنَّ في ذِكْرِ المشارقِ غُنيةً عن ذِكْرِ المغاربِ؛ إذ مساواتُها لها مفهومةٌ عندَ كلِّ عاقلٍ[3]، ولأنَّ المغاربَ تختلفُ بحسَبِ المشارقِ[4]، فذِكْرُ المشارقِ يستلزمُ ذكرَها، ولأنَّ الشُّروقَ أقوى حالًا مِنَ الغُروبِ، وأكثرُ نفعًا، فذِكْرُ المشارقِ تنبيهٌ على كثرةِ إحسانِ اللهِ تعالى لعبادِهِ[5].

علَّةُ جمعِ ﴿ٱلۡمَشَٰرِقِ﴾:

المشارقُ كثيرةٌ مُتعدِّدةٌ

جُمِعَتِ المشارقُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ﴾؛ للدّلالةِ على تعدُّدِها وكثرتِها باعتبارِ اختلافِ مَطْلَعِ الشَّمسِ خلالَ السَّنةِ الشَّمسيَّةِ؛ فإنَّها ثلاثُ مئةٍ وستّونَ مَشْرِقًا، وبحسَبِها تختلفُ المغاربُ[6]، وهذا الاختلافُ والتَّنوُّعُ آيةٌ مِنْ آياتِ اللهِ تعالى، حيثُ يُسيِّرُ الشَّمسَ على وفْقِ نظامٍ دقيقٍ لا يختلُّ، وكذلكَ الأمرُ إنْ أُريدَ مشارقُ الكواكبِ.

---

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 465.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 86.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 465.
(4) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 5.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 316 - 317.
(6) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 184.

توجيهُ المتشابهِ اللّفظيِّ:

تقدَّمَ أنَّ المُرادَ بالمشارقِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ مطالعُ الشَّمسِ على الأظهرِ، وهي ثلاثُ مئةٍ وستّونَ مَشْرِقًا، وكذلكَ المغاربُ، تُشرِقُ الشَّمسُ كلَّ يومٍ في مَشْرِقٍ، وتغربُ في مَغْرِبٍ، وأمّا قولُهُ تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ [الرّحمن: 17] بالتَّثنيةِ، فالمرادُ بهِ: مَشْرِقا الصَّيفِ والشِّتاءِ ومغرباهما، وأمّا قولُهُ تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [الشّعراء: 28] بالإفرادِ فالمرادُ بهِ: الجهةُ؛ فالمَشْرِقُ جهةٌ، والمَغْرِبُ جهةٌ[1]، وبذلكَ أفادَتْ كلُّ آيةٍ فائدةً جديدةً، واندفعَ ما قد يُتوهَّمُ مِنَ التَّعارضِ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الزَّجْرُ والوَعْظُ والنُّصْحُ:

الدّاعيةُ إلى اللهِ حريصٌ على تطبيقِ شرعِ اللهِ

الزَّجْرُ في الأصلِ: الدَّفْعُ عن الشَّيءِ بتسلُّطٍ وصياحٍ، ثمَّ استُعمِلَ في الحَثِّ على الشَّيءِ، وفي المنعِ والنَّهيِ، وإنْ لم يكنْ صياحٌ[2].

والوعظُ: زَجْرٌ مقترنٌ بتخويفٍ، أو هو التَّذكيرُ بالخيرِ فيما يَرِقُّ لهُ القلبُ[3]. والنُّصحُ: تحرّي فعلٍ، أو قولٍ فيهِ صلاحُ صاحبِهِ.

وقد عُبِّرَ بالزَّجْرِ في قولِهِ تعالى: ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾؛ لأنَّ في التَّعبيرِ بهِ دلالةً على أنَّهُ لا يُترَكُ للمَزْجورِ تباطؤٌ في الإتيانِ بالمطلوبِ منهُ[4]، وعلى أنَّ الزّاجرَ حريصٌ غايةَ الحِرْصِ على تحقُّقِ المطلوبِ، فإنْ كانَ الموصوفُ هو الملائكةَ - كما هو الظّاهرُ - أو العلماءَ؛ دلَّ الوصفُ بالزّاجراتِ على أنَّهم يقومونَ برسالةِ الدَّعوةِ إلى اللهِ ضمنَ المنهجِ الرَّبّانيِّ، وينصحونَ ويُرشدونَ، ويأمرونَ بالمعروفِ، ويَنهَوْنَ عن المُنكَرِ، فمَنْ أصرَّ مِنَ المسلمينَ على ارتكابِ المعاصي زَجَروهُ عن معاصيهِ.

(1) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 3/ 117، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 184.
(2) الرّاغب، المفردات: (زجر)، والآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 64، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 23/ 41.
(3) الرّاغب، المفردات: (زجر)، (وعظ)، (نصح).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 84.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والأربعون،
سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 48 ، 810 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-07-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 48 : المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-07-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1101030 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»